العتبة العلوية المقدسة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة (١٩)

الابتلاء والاختبار في نهج البلاغة

إعداد: مكتبة الروضة الحيدرية

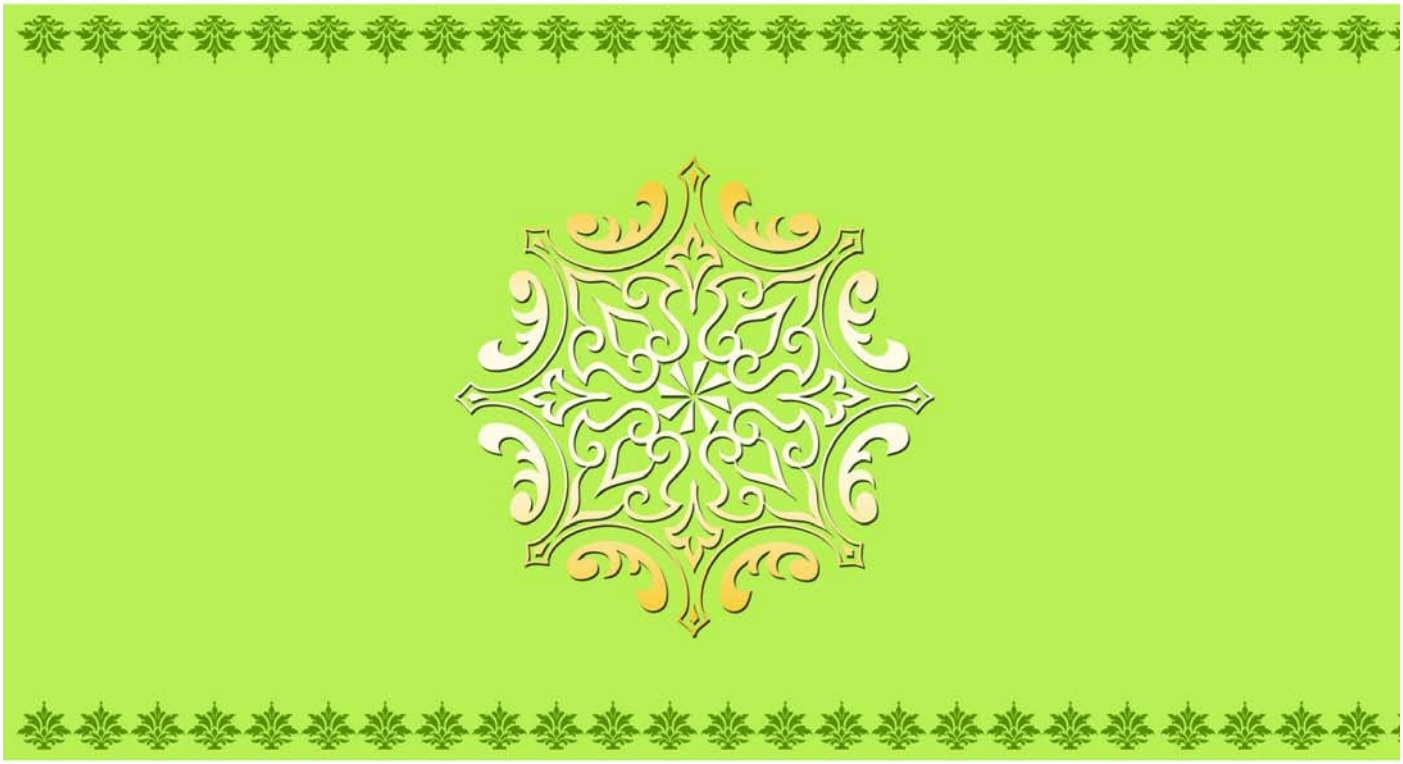

العتبة العلوية المقدسة

سلسلة في رحاب نهج البلاغة ـ ١٩

الابتلاء والاختبار

في نهج البلاغة

إعداد
مكتبة الروضة الحيدرية

الابتلاء والاختبار في نهج البلاغة

■ الناشر: العتبة العلوية المقدسة

■ إعداد: مكتبة الروضة الحيدرية

■ إخراج فني: نصير شكر

■ عدد النسخ: ١٠٠٠ نسخة

■ السنة: ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

العتبة العلوية المقدسة، العراق . النجف الأشرف

هاتف: ٠٧٨٠٢٣٣٧٢٧٧ (٠٠٩٦٤)

لإبداء ملاحظاتكم يرجى مراسلتنا على البريد الالكتروني :

info@haydarya.com

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

قال الله تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ* وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكاذِبِينَ﴾ العنكبوت: ٢ ـ ٣.

وقال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذىً كَثِيراً وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ آل عمران: ١٨٦.

وقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ الأنبياء: ٣٥.

وقال تعالى في بني إسرائيل: ﴿وَبَلَوْناهُمْ بِالْحَسَناتِ وَالسَّيِّئاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ الأعراف: ١٦٨.

وقال تعالى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللهُ ما فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ ما فِي قُلُوبِكُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِذاتِ الصُّدُورِ﴾ آل عمران: ١٥٤.

فهذه الآيات الكريمة وغيرها تدلّ على قانون إلهي أجراه سبحانه وتعالى في الكون، ألا وهو قانون الابتلاء، حيث يعمّ جميع البشريّة بل ويتعدّى إلى عالم المجرّدات ليشمل الملائكة والجن أيضاً.

كما انّ هذه الآيات تدلّ على تنوّع الابتلاء، فتارة في الأموال والأولاد والأنفس، وتارة في الخير والشر، وأخرى في الحسنات والسيئات.

فمعكم في حلقة أخرى من «سلسلة في رحاب نهج البلاغة» تحت عنوان: «الابتلاء والاختبار في نهج البلاغة» لنتعرّف على فلسفة الابتلاء وأنواعه وما هو موقف الإنسان تجاهه، من خلال ما ورد على لسان أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة.

***

- ١ -

الابتلاء في الدنيا

انّ أميرالمؤمنين عليه السلام يؤكد في موارد كثيرة من خطبه وكتبه على قانون الابتلاء والاختبار، ويذكر انّ الدنيا مقدّرة منذ القدم على هذا القانون، فإنّه عليه السلام بعد ما يذكر هبوط آدم عليه السلام من الجنّة يقول: «**فأهبطه إلى دار البلية وتناسل الذرية**» الخطبة: ١. حيث يشير إلى انّ الدنيا محفوفة بالبلاء من الأوّل. وهذا المفهوم يكرّره أميرالمؤمنين عليه السلام ويؤكّده ويقول بعد ما يوصي بالتقوى في الدنيا: «**في قرار خبرة ودار عبرة، أنتم مختبرون فيها ومحاسبون عليها**» الخطبة: ٨٢.

كما أنّه عليه السلام لترسيخ هذا المفهوم يستشهد بالقرآن أيضاً ويقول: «**أيها الناس انّ الله قد أعاذكم من أن يجور عليكم، ولم يعذكم من أن يبتليكم، وقد قال جلّ من قائل: ﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾**» الخطبة: ١٠٢.

وقال عليه السلام أيضاً: «**فإنّ الله سبحانه يقول: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ ومعنى ذلك أنّه سبحانه يختبرهم بالأموال والأولاد ليتبيّن الساخط لرزقه والراضي بقسمه...**» قصار الحكم: ٨٨.

ثم أنّه عليه السلام استفاد من هذا المفهوم لموعظة الإنسان، وإيقاظهم

من نوم الغفلة وعدم الركون إلى الدنيا، فهو عليه السلام يصف الدنيا باشتمالها على أنواع البلايا ليزهّد الناس فيها ويقول: «**دار بالبلاء محفوفة، وبالغدر معروفة... إنّما أهلها فيها أغراض مستهدفة، ترميهم بسهامها، وتفنيهم بحمامها**» الخطبة: ٢٢٥.

وقال عليه السلام: «**لم يكن امرؤ منها في حبرة إلّا أعقبته بعدها عبرة، ولم يلق من سرّائها بطناً إلّا منحته من ضرّائها ظهراً، ولم تطلّه فيها ديمة رخاء إلّا هتنت عليه مزنة بلاء**» الخطبة: ١١٠، يقول عليه السلام: انّ الدنيا لم تمطر عليه من الرخاء قليلاً إلّا وهتنت أي مطرت عليه من البلاء كثيراً.

وقال عليه السلام: «**انّ الدنيا لم تكن لتستقر إلّا على ما جعلها الله عليه من النعماء والابتلاء...**» الكتاب: ٣١. حيث يشير عليه السلام إلى التقدير الإلهي باحتواء الدنيا على أنواع البلاء.

وقال عليه السلام أيضاً: «**واعلم انّ الدنيا دار بلية لم يفرغ صاحبها قط فيها ساعة إلّا كانت فرغته عليه حسرة يوم القيامة**» الكتاب: ٥٩.

وقال عليه السلام في كتابه لمعاوية: «**أما بعد فإنّ الله سبحانه جعل الدنيا لما بعدها، وابتلى فيها أهلها ليعلم أيّهم أحسن عملاً، ولسنا للدنيا خلقنا، ولا بالسعي فيها أمرنا، وإنّما وضعنا فيها لنبتلي بها**» الكتاب: ٥٥.

وأخيراً فإنّ الدنيا نفسها تحذّر من نفسها، يقول عليه السلام: «**ولهي بما تعدك من نزول البلاء بجسمك والنّقص في قوّتك أصدق وأوفى من أن تكذبك أو تغرّك**» الخطبة: ٢٢٢.

***

- ٢ -

حكمة الابتلاء

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَياةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ الملك: ٢.

وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبارَكُمْ﴾ محمد: ٣١.

وقال تعالى عن لسان صاحب سليمان عليه السلام بعد ما نقل عرش بلقيس قبل أن يرتد الطرف: ﴿هذا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ النمل: ٤٠.

فهذه الآيات تدلّ بوضوح انّ مسألة الابتلاء لم تكن جزافاً وعبثاً، بل تبتني على حكمة ربانية، كما وردت الإشارة إلى جملة منها في الآيات القرآنية.

ولما نراجع نهج البلاغة، نرى انّ أميرالمؤمنين عليه السلام يذكر مجموعة من الحكم الكامنة وراء مسألة الابتلاء، منها مسألة الإثابة واستحقاق الأجر والمنزلة عند الله، حيث لا تأتي المثوبة اعتباطاً بل استحقاقاً، قال عليه السلام: «**ألا انّ الله قد كشف الخلق كشفة، لا أنّه جهل ما أخفوه من**

مصون أسرارهم، ومكنون ضمائرهم، ولكن ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، فيكون الثواب جزاء والعقاب بواء» الخطبة: ١٤٤.

وقال عليه السلام في قوله تعالى: «إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ» وفي قوله تعالى: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ» قال عليه السلام: «فلم يستنصركم من ذلّ، ولم يستقرضكم من قلّ، استنصركم وله جنود السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم، واستقرضكم وله خزائن السماوات والأرض وهو الغني الحميد، وإنّما أراد أن يبلوكم أيكم أحسن عملاً» الخطبة: ١٨٣.

وقال عليه السلام في حكمة كون الأنبياء أهل مسكنة وفقر مادي: «ولو أراد الله سبحانه بأنبيائه حيث بعثهم أن يفتح لهم كنوز الذهبان ومعادن العقيان، ومغارس الجنان، وأن يحشر معهم طير السماء ووحوش الأرضين لفعل، ولو فعل لسقط البلاء، وبطل الجزاء، واضمحلّ الأنباء، ولما وجب للقابلين أجور المبتلين، ولا استحق المؤمنون ثواب المحسنين... وكلّما كانت البلوى والاختبار أعظم، كانت المثوبة والجزاء أجزل».

ثم يستمر عليه السلام ويذكر الحج وصعوبته ويقول: «ابتلاء عظيماً وامتحاناً شديداً، واختباراً مبيناً، وتمحيصاً بليغاً، جعله الله سبباً لرحمته ووصلة إلى جنته، ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام، ومشاعره العظام بين جنات وأنهار، وسهل وقرار، جم الأشجار، داني الثمار،

ملتف البُنى، متصل القرى، بين برّة سمراء، وروضة خضراء، وأرياف محدقة، وعراص مغدقة، وزروع ناضرة، وطرق عامرة، لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء» الخطبة: ١٩٢.

وقال عليه السلام: «أما بعد فإنّ الله سبحانه جعل الدنيا لما بعدها، وابتلى فيها أهلها، ليعلم أيّهم أحسن عملاً» الكتاب: ٥٥.

ومنها دفع الكبر عن القلوب، قال عليه السلام: «ولكنّ الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله، تمييزاً بالاختبار لهم، ونفياً للاستكبار عنهم، وإبعاداً للخيلاء منهم» الخطبة: ١٩٢.

وقال عليه السلام أيضاً: «ولكن الله سبحانه يختبر عباده بأنواع الشدائد، ويتعبّدهم بألوان المجاهد، ويبتليهم بضروب المكاره، إخراجاً للتكبر من قلوبهم، وإسكاناً للتذلّل في نفوسهم، وليجعل ذلك أبواباً فتحاً إلى فضله، وأسباباً ذللاً لعفوه» الخطبة: ١٩٢.

ومنها التوبة والرجوع إلى الله تعالى، قال عليه السلام: «انّ الله تعالى يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات، وحبس البركات، وإغلاق خزائن الخيرات، ليتوب تائب، ويقلع مقلع، ويتذكّر متذكّر، ويزدجر مزدجر» الخطبة: ١٤٣.

ومنها الرضا بقضاء الله تعالى، قال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾: «ومعنى ذلك أنّه سبحانه يختبرهم بالأموال والأولاد ليتبيّن الساخط لرزقه والراضي بقسمه، وإن

كان سبحانه أعلم بهم من أنفسهم، ولكن لتظهر الأفعال التي بها يُستحق الثواب والعقاب» قصار الحكم: ٨٨.

ومنها الانتفاع بالموعظة، قال عليه السلام: «**ومن لم ينفعه الله بالبلاء والتجارب، لم ينتفع بشيء من العظة، وأتاه التقصير من أمامه**» الخطبة: ١٧٦.

***

- ٣ -

ابتلاء الملائكة

يذكر أمير المؤمنين في الخطبة الأولى من نهج البلاغة كيفية خلق الإنسان ويقول: «**ثمّ جمع سبحانه من حزن الأرض وسهلها، وعذبها وسبخها، تربةً سنّها بالماء حتّى خلصت، ولاطها بالبلّة حتّى لزبت، فجبل منها صورةً ذات أحناءٍ ووصولٍ، وأعضاءٍ وفصولٍ، أجمدها حتّى استمسكت، وأصلدها حتّى صلصلت، لوقتٍ معدودٍ، وأجلٍ معلومٍ.**

ثمّ نفخ فيها من روحه فمثلت إنساناً ذا أذهانٍ يجيلها، وفكرٍ يتصرّف بها، وجوارح يختدمها، وأدواتٍ يقلّبها، ومعرفةٍ يفرق بها بين الحقّ والباطل، والأذواق والمشامّ، والألوان والأجناس، معجوناً بطينة الألوان المختلفة، والأشباه المؤتلفة، والأضداد المتعادية، والأخلاط المتباينة، من الحرّ والبرد، والبلّة والجمود، والمساءة والسّرور»

وهذه الخلقة كانت بمرأى ومسمع الملائكة، حيث كانت ترى مخلوقاً خُلق من طين مظلم كما ورد وصفه في كلام أمير المؤمنين عليه السلام، وكانت ترى نفسها أعلى منه لأنّها مخلوقة من نور، ثم فوجئت بلزوم

السجود لهذا الإنسان الذي كانت تعتقد فيه الفساد وسفك الدماء، ولم يكن منها إلّا الاذعان والطاعة، كما قال عليه السلام: «**واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيّته إليهم في الإذعان بالسّجود له، والخنوع لتكرمته فقال سبحانه: ﴿اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾**» الخطبة: ١.

وقال عليه السلام: «**ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين**» الخطبة: ١٩٢.

فقد نجحت الملائكة في هذا الامتحان وسقط إبليس لتكبره وجحوده، قال عليه السلام في تصوير شدة ابتلاء الملائكة: «**ولو أراد الله سبحانه أن يخلق آدم من نور يخطف الأبصار ضياؤه، ويبهر العقول رواؤه، وطيب يأخذ الأنفاس عرفه، لفعل ولو فعل لظلّت له الأعناق خاضعة، ولخفّت البلوى فيه على الملائكة، ولكن الله سبحانه يبتلي خلقه ببعض ما يجهلون أصله، تمييزاً بالاختبار لهم، ونفياً للاستكبار عنهم، وإبعاداً للخيلاء منهم**» الخطبة: ١٩٢.

***

- ٤ -

ابتلاء الشيطان

انّ الابتلاء الذي قدّره الله تعالى للملائكة شمل إبليس أيضاً، ولكن كانت نتيجة هذه البلوى للشيطان الجحود والعصيان، وعدم النجاح في الامتحان.

قال عليه السلام في الخطبة القاصعة: «**الحمد لله الذي لبس العزّ والكبرياء، واختارهما لنفسه دون خلقه، وجعلهما حمىً وحرماً على غيره، واصطفاهما لجلاله، وجعل اللعنة على من نازعه فيهما من عباده، ثم اختبر بذلك ملائكته المقربين، ليميز المتواضعين منهم من المستكبرين، فقال سبحانه وهو العالم بمضمرات القلوب، محجوبات الغيوب: ﴿إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ * فَسَجَدَ الْـمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ اعترضته الحمية، فافتخر على آدم بخلقه، وتعصّب عليه لأصله**» الخطبة: ١٩٢.

وقال عليه السلام: «**أما إبليس فتعصّب على آدم لأصله، وطعن عليه في خلقته، فقال: أنا ناري وأنت طيني**» الخطبة: ١٩٢.

وقال عليه السلام أيضاً: «**واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم،**

وعهد وصيته إليهم، في الاذعان بالسجود له، والخنوع لتكرمته، فقال عز من قائل: ﴿اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ﴾ وقبيله اعترتهم الحمية،وغلبت عليهم الشقوة، وتعزّزوا بخلقة النار، واستوهنوا خلق الصلصال، فأعطاه الله تعالى النظرة استحقاقاً للسخطة واستتماماً للبلية وإنجازاً للعدة، فقال: ﴿[ف] إِنَّكَ مِنَ الْـمُنْظَرِينَ * إِلى يَوْمِ الْوَقْتِ الْـمَعْلُومِ﴾ الخطبة: ١.

***

- ٥ -

ابتلاء الأنبياء والأوصياء

تعدّدت أنواع البلايا على الأنبياء عليهم السلام، وربما كان الاختبار عليهم أشدّ لأنّهم خاصة خلق الله تعالى والأدلة إليه، ولم يكن يأتي هذا المقام لأحد إلّا بعد امتحان واختبار شديد، كما يقول تعالى في اختبار إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام: ﴿**إِنَّ هذا لَـهُوَ الْبَلاءُ الْـمُبِينُ**﴾ الصافات: ١٠٦.

أو ما حدث بأيوب عليه السلام من البلاء فصبر ومدحه الله تعالى بقوله: ﴿**إِنَّا وَجَدْناهُ صابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ ص: ٤٤.

وكذلك سائر الأنبياء عليهم السلام حيث ابتلوا بأنواع البلايا والمحن سواء في أنفسهم أو ذويهم أو من قبل الأمة التي بعثوا إليها.

وممّا ورد ذكره في نهج البلاغة ما ابتلى الله تعالى الأنبياء بالمخمصة والمجهدة، قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «**فلو رخّص الله في الكبر لأحد من عباده لرخّص فيه لخاصة أنبيائه، ولكنّه سبحانه كرّه إليهم التكابر، ورضي لهم التواضع، فألصقوا بالأرض خدودهم، وعفّروا في التراب وجوهم، وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين، وكانوا قوماً مستضعفين، قد**

اختبرهم الله بالمخمصة، وابتلاهم بالمجهدة، وامتحنهم بالمخاوف، ومخضهم بالمكاره» الخطبة: ١٩٢.

أما أمير المؤمنين عليه السلام فقد اشتدت عليه أنواع البلايا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد ابتلى بغصب الخلافة التي يقول فيها: «**وطفقت أرتئي بين أن أصول بيد جذّاء، أو أصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدح فيها مؤمن حتى يلقى ربه**» الخطبة: ١.

ويقول في مكان آخر: «**وأغضيت على القذى، وشربت على الشجا، وصبرت على أخذ الكظم**[1]**، وعلى أمرّ من طعم العلقم**» الخطبة:٢٦.

كما أنّه عليه السلام ابتلي بحرب البغاة، وقد كان بلاءاً عظيماً قال عنه عليه السلام: «**وقد قلّبت هذا الأمر بطنه وظهره حتى منعني النوم، فما وجدتني يسعني إلّا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمد** صلى الله عليه وآله» الخطبة: ٥٣.

وقال أيضاً: «**ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه، وقلّبت ظهره وبطنه، فلم أر لي إلّا القتال أو الكفر**» الخطبة: ٤٣.

وكذلك ابتلي عليه السلام بتخاذل الأمّة عن نصرته، فكان يحثّهم بين الحين والآخر ويوبخهم عسى أن يفيقوا، حتى قال عليه السلام شاكياً إلى الله تعالى وداعياً عليهم: «**اللهم إنّي قد مللتهم وملّوني، وسئمتهم وسئموني، فأبدلني بهم خيراً منهم، وأبدلهم بي شرّاً منّي، اللهم مث قلوبهم كما**

---

(١) الكظم: مخرج النفس.

يُماث الملح في الماء» الخطبة: ٢٥.

وقال عليه السلام أيضاً: «**يا أشباه الرجال ولا رجال، حلوم الأطفال، وعقول ربات الحجال، لوددت انّي لم أركم ولم أعرفكم معرفة والله جرّت ندماً، وأعقبت سدماً**[1]، **قاتلكم الله لقد ملأتم قلبي قيحاً، وشحنتم صدري غيظاً، وجرّعتموني نغب التهمام أنفاساً**»[2] الخطبة: ٢٧.

وقال عليه السلام وهو يبيّن شدّة ابتلائه بهم: «**أيها الشاهدة أبدانهم، الغائبة عنهم عقولهم، المختلفة أهواؤهم، المبتلي بهم أمراؤهم، صاحبكم يطيع الله وأنتم تعصونه، وصاحب أهل الشام يعصي الله وهم يطيعونه، لوددت والله انّ معاوية صارفني بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ منّي عشرة منكم وأعطاني رجلاً منهم**» الخطبة: ٩٦.

وغيرها في موارد كثيرة.

وكذلك يذكر عليه السلام في كتاب كتبه إلى معاوية أنّه عليه السلام ابتلي به،قال: «**ولسنا للدنيا خلقنا ولا بالسعي فيها أمرنا، وإنّما وضعنا فيها لنبتلى بها، وقد ابتلاني بك وابتلاك بي، فجعل أحدنا حجة على الآخر**» الكتاب:٥٥.

***

(١) السدم: الحزن والغيظ.

(٢) النغب: الجرعة، والتهمام: الهم، وأنفاساً: جرعة جرعة.

-٦-

ابتلاء الإنسان

سبق وأن ذكرنا بأنّ الدنيا دار البلاء والاختبار، والإنسان يثاب أو يعاقب بقدر نجاحه في الامتحان أو رسوبه فيه، والبلايا في الدنيا متنوعة فتارة، تكون من قبيل الطاعات والعبادات، وأخرى الذنوب والسيئات، وثالثة في النفس والمال والولد.

فالمتقون لتوكلهم على الله تعالى وانقطاعهم إليه لا يعبؤون بهذه البلايا، ويخرجون من الاختبار سالمين غانمين، قال عليه السلام في وصفهم: «**نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء**» الخطبة: ١٩٣ أي أنّ البلاء والرخاء عندهم سواسية إذ يعلمون انّ كلاً من عند الله، وما يأتي من الله تعالى لا يكون إلّا خيراً، فأوطنوا أنفسهم على ما قدّره الله في حقهم من الشدة والرخاء، والسرّاء والضراء، والضيق والسعة.

كما نقرأ في زيارة أمين الله: «اللهم فاجعل نفسي مطمئنة بقدرك، راضية بقضائك» فهو دعاء للوصول إلى هذا المقام.

ومن جملة الأمور التي ابتلي الإنسان بها الحج، قال عليه السلام بعد ما

بيّن انّ المثوبة تقدّر بحسب شدّة البلاء: «**ألا ترون انّ الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم صلى الله عليه وآله إلى الآخرين من هذا العالم، بأحجار لا تضرّ ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياماً ثمّ وضعه بأوعر بقاع الأرض حجراً وأقلّ نتائق الدّنيا مدراً، وأضيق بطون الأودية قطراً بين جبالٍ خشنةٍ، ورمالٍ دمثةٍ وعيونٍ وشلةٍ، وقرًى منقطعةٍ، لا يزكو بها خفٌّ ولا حافرٌ ولا ظلفٌ، ثمّ أمر آدم عليه السلام وولده أن يثنوا أعطافهم نحوه فصار مثابةً لمنتجع أسفارهم، وغايةً لملقى رحالهم تهوي إليه ثمار الأفئدة من مفاوز قفارٍ سحيقةٍ، ومهاوي فجاجٍ عميقةٍ، وجزائر بحارٍ منقطعةٍ حتّى يهزّوا مناكبهم ذللاً يهلّلون لله حوله، ويرملون على أقدامهم شعثاً غبراً له قد نبذوا السّرابيل وراء ظهورهم، وشوّهوا بإعفاء الشّعور محاسن خلقهم ابتلاءً عظيماً، وامتحاناً شديداً، واختباراً مبيناً، وتمحيصاً بليغاً، جعله الله سبباً لرحمته ووصلةً إلى جنّته ولو أراد سبحانه أن يضع بيته الحرام ومشاعره العظام بين جنّاتٍ وأنهارٍ وسهلٍ وقرارٍ جمّ الأشجار داني الثّمار ملتفّ البنى متّصل القرى بين برّةٍ سمراء وروضةٍ خضراء وأريافٍ محدقةٍ وعراصٍ مغدقةٍ ورياضٍ ناضرةٍ وطرقٍ عامرةٍ، لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء، ولو كان الأساس المحمول عليها والأحجار المرفوع بها بين زمرّدةٍ خضراء، وياقوتةٍ حمراء، ونورٍ وضياءٍ لخفّف ذلك مصارعة الشّكّ في الصّدور، ولوضع مجاهدة إبليس عن القلوب، ولنفى معتلج الرّيب من النّاس، ولكنّ الله يختبر عباده بأنواع الشّدائد، ويتعبّدهم بأنواع المجاهد،**

ويبتليهم بضروب المكاره إخراجاً للتّكبّر من قلوبهم، وإسكاناً للتّذلّل في نفوسهم، وليجعل ذلك أبواباً فتحاً إلى فضله، وأسباباً ذللاً لعفوه» الخطبة: ١٩٢.

ومنها الصيام، قال عليه السلام: «**فرض الله... الصيام ابتلاء لإخلاص الخلق**» قصار الحكم: ٢٤٣.

ومنها الجهاد الذي من تركه «**ألبسه الله ثوب الذل، وشمله البلاء**» الخطبة: ٢٧، فهو من المواطن الصعبة إذ يجد الإنسان نفسه بين الموت والحياة، وكان يقول عليه السلام وهو يحثّ أصحابه على القتال: «**من رائح إلى الله كالظمآن يرد الماء، الجنّة تحت أطراف العوالي، اليوم تبلى الأخبار**» الخطبة: ١٢٤، وكان عليه السلام يفتخر بمواقفه في جهاد العدوّ ويقول: «**ولقد واسيته [أي النبي صلى الله عليه وآله] بنفسي في المواطن التي تنكص فيها الأبطال، وتتأخّر فيها الأقدام، نجدة أكرمني الله بها**» الخطبة: ١٩٧.

ومنها الابتلاء بالغنى والفقر، قال عليه السلام: «**قدّر الأرزاق فكثّرها وقلّلها، وقسّمها على الضيق والسعة، فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها، وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيّها وفقيرها**» الخطبة: ٩٠.

وقال عليه السلام: «**فلا تعتبروا الرضا والسخط بالمال والولد جهلاً بمواقع الفتنة والاختبار في مواضع الغنى والافتقار**» الخطبة: ١٩٢.

قال عليه السلام: «**أيها الناس ليركم الله من النعمة وجلين كما يراكم من**

النقمة فرقين، أنّه من وُسّع عليه في ذات يده فلم ير ذلك استدراجاً فقد أمن مخوفاً، ومن ضُيّق عليه في ذات يده فلم ير ذلك اختباراً فقد ضيّع مأمولاً» قصار الحكم: ٣٤٨.

وقال عليه السلام: «أمّا بعد فإنّ الأمر ينزل من السّماء إلى الأرض كقطرات المطر إلى كلّ نفسٍ بما قسم لها من زيادةٍ أو نقصانٍ، فإن رأى أحدكم لأخيه غفيرةً في أهلٍ أو مالٍ أو نفسٍ فلا تكوننّ له فتنةً، فإنّ المرء المسلم ما لم يغش دناءةً تظهر فيخشع لها إذا ذكرت ويغرى بها لئام النّاس كان كالفالج الياسر الّذي ينتظر أوّل فوزةٍ من قداحه توجب له المغنم ويرفع بها عنه المغرم، وكذلك المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر من الله إحدى الحسنيين إمّا داعي الله فما عند الله خيرٌ له، وإمّا رزق الله فإذا هو ذو أهلٍ ومالٍ ومعه دينه وحسبه» الخطبة: ٢٣.

ومنها الجهل، قال عليه السلام وهو يصف حال الناس في مبعث النبي صلى الله عليه وآله: «بعثه والناس ضلّال في حيرة... حيارى في زلزال من الأمر، وبلاء من الجهل» الخطبة: ٩٤.

وكان أميرالمؤمنين عليه السلام يشكو إلى الله تعالى من جهّال الأمّة ويقول: «إلى الله أشكو من معشر يعيشون جهالاً ويموتون ضلّالاً، ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلي حق تلاوته، ولا سلعة أنفق بيعاً ولا أغلى ثمناً من الكتاب إذا حُرّف عن مواضعه، ولا عندهم أنكر من المعروف، ولا أعرف من المنكر» الخطبة: ١٧.

كما يشير عليه السلام إلى قوله تعالى في حق موسى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسى﴾ طه: ٦٧. ويذكر أنّه لم يخف على نفسه بل خاف من الجهّال، قال عليه السلام: «**لم يوجس موسى خيفة على نفسه، أشفق من غلبة الجهّال ودول الضّلال**» الخطبة: ٤.

ومنها الفتن حيث أنّها «**إذا أقبلت شبّهت، وإذا أدبرت نبّهت، يُنكرن مقبلات، ويُعرفن مدبرات، يحمن حوم الرياح، يصبن بلداً ويخطئن بلداً**» الخطبة: ٩٢.

وكانت فتنة بني أمية من أشدّ الفتن التي نبّه بها أمير المؤمنين عليه السلام حيث قال: «**ألا وانّ أخوف الفتن عندي عليكم فتنة بني أمية، فإنّها فتنة عمياء مظلمة، عمّت خطّتها، وخصّت بليتها، وأصاب البلاء من أبصر فيها، وأخطأ البلاء من عمي عنها... ولا يزال بلاؤهم حتى لا يكون انتصار أحدكم منهم إلّا مثل انتصار العبد من ربّه، والصاحب من مستصحبه، ترد عليكم فتنة شوهاء مخشية، وقطعاً جاهلية، ليس فيها منار هدى، ولا عَلَمٌ يُرى**» الخطبة: ٩٢.

والفتن من أشد البلايا على الإنسان، حيث تختلط فيها الأوراق ويشتدّ الأمر على الإنسان في تشخيص الحق من الباطل، وفي ذلك يقول عليه السلام: «**فعند ذلك أخذ الباطل مأخذه، وركب الجهل مراكبه، وعظمت الطّاغية، وقلّت الدّاعية، وصال الدّهر صيال السّبع العقور، وهدر فنيق الباطل بعد كظومٍ، وتواخى النّاس على الفجور، وتهاجروا على الدّين**

وتحابّوا على الكذب وتباغضوا على الصّدق، فإذا كان ذلك كان الولد غيظاً، والمطر قيظاً، وتفيض اللّئام فيضاً، وتغيض الكرام غيضاً، وكان أهل ذلك الزّمان ذئاباً، وسلاطينه سباعاً، وأوساطه أكّالاً، وفقراؤه أمواتاً، وغار الصّدق وفاض الكذب، واستعملت المودّة باللّسان، وتشاجر النّاس بالقلوب، وصار الفسوق نسباً، والعفاف عجباً، ولبس الإسلام لبس الفرو مقلوباً» الخطبة: ١٠٧.

وقال عليه السلام أيضاً: «ثمّ إنّكم معشر العرب أغراض بلايا قد اقتربت... ثمّ يأتي بعد ذلك طالع الفتنة الرّجوف، والقاصمة الزّحوف، فتزيغ قلوبٌ بعد استقامةٍ، وتضلّ رجالٌ بعد سلامةٍ، وتختلف الأهواء عند هجومها، وتلتبس الآراء عند نجومها من أشرف لها قصمته، ومن سعى فيها حطمته، يتكادمون فيها تكادم الحمر في العانة، قد اضطرب معقود الحبل، وعمي وجه الأمر، تغيض فيها الحكمة، وتنطق فيها الظّلمة، وتدقّ أهل البدو بمسحلها، وترضّهم بكلكلها، يضيع في غبارها الوحدان، ويهلك في طريقها الرّكبان، ترد بمرّ القضاء، وتحلب عبيط الدّماء، وتثلم منار الدّين، وتنقض عقد اليقين، يهرب منها الأكياس ويدبّرها الأرجاس، مرعادٌ مبراقٌ، كاشفةٌ عن ساقٍ، تقطع فيها الأرحام، ويفارق عليها الإسلام، بريئها سقيمٌ وظاعنها مقيمٌ» الخطبة: ١٥١.

ومنها الاستدارج والإملاء، قال عليه السلام: «كم من مستدرج

بالإحسان إليه، ومغرور بالستر عليه، ومفتون بحسن القول فيه، وما ابتلى الله أحداً بمثل الإملاء له» قصار الحكم: ١١٠، ٢٥١.

ومنها مرض القلوب، قال عليه السلام: **«ألا وانّ من البلاء الفاقة، وأشد من الفاقة مرض البدن، وأشدّ من مرض البدن مرض القلب»** قصار الحكم: ٣٧٨.

***

ـ ٧ ـ

موقف الإنسان في البلاء

انّ الله تعالى خلق الإنسان وأراه الطريق الصحيح وحذّره مواقع الفتن والضلال، على ألسنة رسله وحججه، قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «**وعمّر فيكم نبيه أزماناً... وأنهى إليكم على لسانه محابه من الأعمال ومكارهه ونواهيه وأوامره، فألقى إليكم المعذرة، واتخذ عليكم الحجة**» الخطبة: ٨٥.

وقال عليه السلام أيضاً: «**فإنّ الله تعالى قد أعذر إليكم بالجليّة، واتخذ عليكم الحجة، وبيّن لكم محابّه من الأعمال ومكارهه منها، لتتبعوا هذه وتجتنبوا هذه**» الخطبة: ١٧٦.

وعليه لو تبصّر الإنسان وأصغى إلى أوامر الله ونواهيه، لم يرتبك في الظلمات والشبهات، ولخرج من الفتن ومواقع الاختبار بنجاح وسلامة.

ثم انّ أميرالمؤمنين عليه السلام يعلّمنا وجه الحيلة في مواقع البلاء ويشير إلى عدّة نقاط، يلزم على الإنسان التمسّك بها، وهي كما يلي:

الحمد والشكر لله تعالى، حيث يجد المؤمن انّ الأمور كلها بيد الله

ولا مؤثّر في الوجود إلّا هو، قال عليه السلام وهو يعمّم الحمد والثناء على الله تعالى في جميع الأمور: «**نحمده على ما أخذ وأعطى، وعلى ما أبلى وابتلى**» الخطبة: ١٣٢.

كما انّ المؤمن يشكر إذا أصيب ببلاء، كذلك يشكر الله على معافاته من البلايا التي أصيب بها غيره، قال عليه السلام في تبين الصفات التي لابدّ أن يتصف بها الإنسان: «**وليكن الشكر شاغلاً له على معافاته ممّا ابتلي به غيره**» الخطبة: ١٤٠.

ومنها التسليم المطلق أمام إرادة الله تعالى، كما جاء في صفات المتقين: «**نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء**» الخطبة: ١٩٣ أي أنّهم اتخذوا البلاء كالرخاء فوطنوا أنفسهم عليه، وذلك لعلمهم بلطف الله تعالى ورحمته لهم، فلا يصيبهم شيء إلّا وفيه حكمة ومصلحة، فهو المنعم وهو المبتلي، قال عليه السلام: «**بل لم تخل من لطفه مطرف عين في نعمة يحدثها لك، أو سيئة يسترها عليك، أو بلية يصرفها عنك**» الخطبة: ٢٢٢.

كما أنّه عليه السلام يصف المتوكلين على الله تعالى ويقول: «**أسرارهم لك مكشوفة، وقلوبهم إليك ملهوفة، إن أوحشتهم الغربة آنسهم ذكرك، وإن صُبّت عليهم المصائب لجؤوا إلى الاستجارة بك، علماً بأنّ أزمة الأمور بيدك ومصادرها عن قضائك**» الخطبة: ٢٢٦.

ومنها الدعاء، كما ورد في النص المتقدّم حيث يدلّ على انّ المؤمن

يستجير بالله تعالى عند المصائب والبلايا وكما قال عليه السلام: «**ادفعوا أمواج البلاء بالدعاء**» قصار الحكم: ١٣٦.

وقال عليه السلام: «**ما المبتلي الذي قد اشتدّ به البلاء، بأحوج إلى الدعاء من المعافى الذي لا يأمن البلاء**» قصارالحكم ٢٩٣، حيث يدلّ على لزوم الدعاء والفزع إلى الله تعالى حتى مع عدم وجود أي بلاء واختبار، وذلك لتوقي حلوله أو الخروج منه بسلامة بعد مجيئه.

ومنها الذكر حيث ينتج البصيرة التي تساعد الإنسان وتسانده في مواقع الاختبار، قال عليه السلام: «**انّ الله سبحانه جعل الذكر جلاء للقلوب، تسمع به بعد الوقرة، وتُبصر به بعد العشوة، وتنقاد به بعد المعاندة**» الخطبة: ٢٢١ فهو إذاً خير معين للإنسان في الابتلاء والاختبار، حيث ينير له الدرب لاتخاذ الصحيح.

ومنها الصبر، قال عليه السلام: «**إن ابتليتم فاصبروا فإنّ العاقبة للمتقين**» الخطبة: ٩٧.

وقال عليه السلام: «**واصبروا على البلاء، ولا تحرّكوا بأيديكم وسيوفكم وهوى ألستكم، ولا تستعجلوا بما لم يعجّله الله لكم**» الخطبة: ١٩٠.

وعند الصبر يأتي الفرج، كما قال عليه السلام: «**عند تناهي الشدّة تكون الفرجة، وعند تضايق حلق البلاء يكون الرخاء**» قصار الحكم: ٣٤١.

وقال عليه السلام: «**أما بعد فإنّ الله سبحانه لم يقصم جباري دهر قط**

إلّا بعد تمهيل ورخاء، ولم يجبر عظم أحدٍ من الأمّم إلّا بعد أزل وبلاء» الخطبة: ٨٧.

ومنها التقوى حيث أنّها تنتج الفرج ودفع الشدائد، قال عليه السلام: **«فمن أخذ بالتقوى عزبت عنه الشدائد بعد دنوّها، واحلولت له الأمور بعد مرارتها، وانفرجت عنه الأمواج بعد تراكمها، وأسهلت له الصعاب بعد أنصابها، وهطلت عليه الكرامة بعد قحوطها، وتحدّبت عليه الرحمة بعد نفورها، وتفجّرت عليه النعم بعد نضوبها، ووبلت عليه البركة بعد إرذاذها»** الخطبة: ١٩٨.

ومنها عدم تعيير المبتلى، قال عليه السلام: **«وإنّما ينبغي لأهل العصمة والمصنوع إليهم في السلامة أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية، ويكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم عنهم، فكيف بالعائب الذي عاب أخاه وعيّره ببلواه، أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه ما هو أعظم من الذنب الذي عابه به... فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه، وليكن الشكر شاغلاً له على معافاته ممّا ابتلي به غيره»** الخطبة: ١٤٠.

إلى هنا ننهي كلامنا عن الابتلاء والاختبار في نهج البلاغة ونسأل الله تعالى النجاح والثبات في أنواع البلايا والمحن. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله وآله الطاهرين.

***

الفهرس

تمهيد ٥

الابتلاء في الدنيا ٧

حكمة الابتلاء ٩

ابتلاء الملائكة ١٣

ابتلاء الشيطان ١٥

ابتلاء الأنبياء والأوصياء ١٧

ابتلاء الإنسان ٢٠

موقف الإنسان في البلاء ٢٧

الفهرس ٣١

***

انّ القرآن الكريم وكتاب نهج البلاغة يشكلان هوية الإنسان المسلم ، و هما مصداق كلام النبي (ص) في التمسك بالثقلين ، فالقرآن هو الثقل الأول، ونهج البلاغة هو التجسد الأتم للثقل الثاني أعني العترة. ولو تدبرنا في هذا الكتاب ـ بعد تدبرنا في القرآن الكريم ـ حق التدبّر ، لرأينا انّه يحتوي على خير الدنيا والآخرة ، وجدير به أن يكون منهاجاً لحياة البشرية، وطريقاً نحو السعادة الأبدية.

إنّ سلسلة (في رحاب نهج البلاغة) التي تصدرها مكتبة الروضة الحيدرية في النجف الأشرف ، محاولة متواضعة لإظهار هذه الحقيقة ، حيث تهدف إلى وضع دراسات مختصرة عن هذا السفر القيم، تتناول شرح خطبة أو كتاب أو حكمة وردت في هذا الكتاب، أو دراسة موضوع معيّن، أو دفع شبهة مثارة ، كلّ ذلك لتعميم الفائدة ، وتسهيل الوصول إلى لآلئ هذا السفر القيم...

الابتلاء والاختبار في نهج البلاغة

يبحث في سنّة اللّه تعالى في خلقه من اختبارهم وابتلائهم لتمييز المؤمن من الكافر لاستحقاق المثوبة أو العقاب عند الصبر أو الجزع...

موقع العتبة العلوية المقدسة : www.imamali-a.com

موقع مكتبة الروضة الحيدرية : www.haydarya.com

رقم الاصدار (٨٥)